المقابلة | أجرى الحوار **بيروت حمود**

وليد دقة

الأسير في سجون العدو منذ 34 عاماً

● أوسلو قسّم الفلسطينيين وشعبنا سيحاكم هذه القيادة

● فدائيو اليوم يرفضون الحالة السياسية الفلسطينية قدر رفضهم للاحتلال

■ بعد ثلاثة عقود وأربع سنوات في السجن، كيف تتذكر يوم اعتقالك؟

الذاكرة انتقائية والنسيان نعمة، وعندما لا تكون قادراً على النسيان، يأتي دور خط الدفاع الثاني، وهو انتقائية الذاكرة، حتى تبقى محافظاً على توازنك. إن الاعتقال صدمة للعقل والجسد، فهو اللحظة التي تنتقل فيها من لحظة أنت بها حُر جسداً، إلى حياة جسدك مُسيطر عليه من أسرك. يُقيده، يحجّزه، يركله... وأنا في هذه اللحظة كان عقلي، وربما روحي، تتأمل هذا الجسد الذي أُسِر من خارجه كأنه جسد شخص آخر، أو ربما أيضاً سلّم عقلي بعقلانيّة باردة بأن الجسد المسدَّد في سيارة الجيب مقيداً لم يعد من مسؤوليته، لأنه مهما أجهد خلاياه فلن يكون قادراً على أن يمنع ما قد يلحقونه به من ألم. قد تستغربين بماذا انشغل عقلي في تلك اللحظة: لقد اعتقلت من مكان عملي، حيث كنت قبل دقائق من ذلك قد حضّرت فنجان نسكافيه، واستعددت لتناول رغيفين، أحدهما «بيتا» بالزيت والزعتر، والآخر باللبنة، كانت أمي قد حضّرتهما لي. عندما قضمت من عروسة اللبنة، كما تسمونها في لبنان، قضمة واحدة، وقبل أن أتمكن من بلعها، كنتُ ملقىً على الأرض ومقيداً. في هذه اللحظة، أوّل (فسّر) عقلي المشهد بالكامل. والعقل في لحظة الصدمة بالذات مُخادع، إذ لخّص المشهد بفقداني رغيف اللبنة الذي بقي مذاقه يُذكرني بوالدتي لا بالاعتقال، الذي إن كان في الزمن العادي لحظة، فإنه في زمن السجون لحظة أمتدت حتى الآن 34 عاماً.

■ لقد قلت ذات يوم إن السجن أبشع أسلوب اخترعته البشرية لمعاقبة الإنسان. كيف يمكن الأسيرَ أن يتغلّب على هذا العقاب؟

السجن مكان حقير، وهو فعلاً أسوأ اختراع صنعه الإنسان. ولكن الأسر هو الأخطر من السجن كمكان، أي السجن كعقلية أو ثقافة، فهذا الذي بيّن أكتافنا يمكن بسهولة أن يتحول إلى زنزانة يُسجن صاحبها، رغم أن جسده حر طليق، وما أكثر الزنازين المتحركة في عالمنا العربي. وللتغلب على السجّنين، سجن المكان والعقل، لا بد من الوعي والتثقيف، وهذا ما كانت تبذل الحركة الأسيرة فيه جهداً. الوعي والتثقيف لا يشملان تاريخ فلسطين والنكبة وقضايا الأمة العربية وهمومها فحسب، فهذه الثقافة إن جاز التعبير أسميها ثقافة التحرر. لقد تبين لنا أن قيم التحرر من الاحتلال لا تعني بالضرورة أن حاملها يدرك قيم الحرية ويتمثلها، فهناك فرق كبير بين التحرر والحرية: الأولى هي النضال ضد الخارج، والثانية هي النضال الداخلي الأصعب، لبناء المجتمع والدولة. للأسف، تحررنا من الاستعمار، ولكن لم يُفضِ ذلك إلى بناء الدولة بسبب غياب الحريات. فما معنى أن يقمع المناضل التحرري رفيقه وشريكه في هذا النضال عندما يعبّر عن رأيه في قضية ما؟! انظري إلى ما يجري في غزة ورام الله على حدّ سواء. الحرية قيمة تفضي إلى التحرر، والتحرر مرحلة نضال لا تفضي، إذا لم يكن مناضلوها يعون معنى الحرية وأهميتها، إلى بناء المجتمع والدولة. من الصعب على التحرريّ أن يتنازل عن بندقيته إذا لم يدرك أثناء مرحلة التحرر أن الحرية قيمة، وسيكون من السهل عليه في أول نقاش مع شركائه من القوى السياسية في الوطن أن يوجهها (البندقية) نحو الداخل.

على المستوى الشخصي، كان للروابط الأسرية دور كبير في تعزيز قدرتي على تحمل عبء سنوات الأسر الطويلة، ولا سيما أمي فريدة، وزوجتي سناء التي ربطت مصيرها بمصيري. هذه العاطفة الإنسانية، وهذا الحب الكبير الذي أحاطتني به سناء، لم يعززا قدرتي على الصمود فحسب، بل منحني حبها القدرة على إعادة إنتاج ذاتي كتابة وإبداعاً وتواصلاً مع هموم الناس في فلسطين والوطن العربي، مما وفرته لي من كتب ودوريات ودراسات. إن أسوأ ما في الزمن داخل الأسر دائريته المملة والمتكررة إلى حد اللزوجة تماماً، كباحة السجن التي ندور فيها حول لا شيء. إن سناء جعلت زمني في السجن خطاً مستقماً صاعداً نحو المستقبل الذي نسير إليه رغم محيطات العنف والكراهية، بزورقنا الصغير الذي صنعناه من نعناع وريحان الحياة، حتى نصل به إلى شاطئ المستقبل ليكون ميلاداً جديداً (تمنع إسرائيل الزوجين وليد وسناء من الحصول على ما يُسمى الخلوة الشرعيّة للتمكن من إنجاب حلمهما، طفلهما ميلاد، رغم أنهما قدّمها عشرات الاستئنافات القضائية).

■ عندما تتحرر ما أول شيء ستفعله؟

الأسير محروم أشياء كثيرة، منها المادة، وأشياء معنوية أهمها الخصوصية، فأنت لا تملك لحظة واحدة مع ذاتك. أنا منذ ثلاثة عقود على مدار 24 ساعة أعيش مع زملاء لي في زنزانة ضيقة، نأكل ونشرب وننام ونستحمّ فيها، وهذا خانق بصورة جنونية. حتى الباحة الشمسية مراقبة بالكاميرات، وعلينا أن نعيش حياتنا كما لو كنّا في «برنامج الأخ الأكبر» (برنامج تلفزيوني إسرائيلي) ونحن على الهواء مباشرة. أول شيء أرغب في فعله هو الذهاب إلى البحر. أنا مشتاق للبحر، وأريد أن أجلس قبالته وحدي في شاطئ ناءٍ بعيداً عن الناس، وأعترف له بكل شيء. سأزيح عن كاهلي كل الأقفال والقيود التي تراكمت على جسدي. سأحكي له عما حلّ بي على مدى هذه العقود الطويلة. سأصرخ وأبكي وألهو برمله مثل طفل، فالبحر هو الوحيد الذي يمكن أن أضعف أمامه وأن أنزع ملابسي دون خجل منه. أمام البحر سأخلع عني وجع السنين لعلني أستعيد... توازني.

■ أنت لست أسيراً سياسياً فقط، بل كاتب قصصي ورسّام أيضاً. هل يمكن أن تشرح لنا عن هذا الجانب من شخصيتك؟

لا أكتبُ إلا لأنني أريد الصمود في الأسر. لم أكتب للإبداع، فغالبية ما كتبته هو رسائل لزوجتي وأشقائي ولأصدقائي، وقد وجد فيها بعض المبدعين قيمة أدبية. عندما يُدفن جسد تحت أطنان الباطون والحديد والأسلاك الشائكة وأمام هذه الحقيقة المذهلة التي إن بقيت للعين ومعالجات العقل المحض قد تصاب بالجنون. الجنون في واقع مجنون هو قمة العقل. لذلك خيالي العقلي يُنشأ واقعاً آخر يتجاوز أسوار السجن، والكتابة عملية تسلل خارج السجن أحاول أن أمارسها يومياً، وهي نفقي الذي أحفره تحت أسواري حتى أبقى على صلة مع الحياة، حياة الناس وهموم شعبنا وأمتنا العربية. هذا لا يعني أن الكتابة انفصال عن واقعي داخل الأسر، ومن ثمّ بقدر ما هي إنشاء لواقع داخل النص، هي أداة لفهم واقع الأسر وتفكيكه. فالأخير في الواقع تغير كثيراً عما كان خلال العقود الثلاثة الماضية. وغدا التعذيب مركباً حداثياً في الغالب، ناعماً هادئاً متسللاً لا يحمل هراوة. وقد كتبت قبل سنوات كُراسة بعنوان «صهر الوعي وإعادة تعريف التعذيب»، حاولت بها تفسير أنواع التعذيب الحديث في السجون الإسرائيلية، فأشد أصناف التعذيب هو صهر الوعي، وإعادة تشكيل هذه الالتزام الذي لا شك في أنه يرافقه جهد جسدي. أذكر أنه عندما التقيت هؤلاء المناضلين المصابين لأول مرة هالني المشهد وهم مقيدون كسائر الأسرى بأيديهم وأرجلهم رغم أنهم فقدوا بصرهم، وفي أدبيات الحركة الوطنية الأسيرة وُضع شعار يلخص النضال داخل الأسر هو الحفاظ على الأسير قيمةً وطنية وأخلاقية حتى لا ينتصر علينا السجان. عندما تصادف مشهداً كهذا، تتأمل هذا الشعار وتسأل نفسك: ما معنى أن ينتصر عليك السجّان؟ قلت لنفسي عندما تعتاد مشهد الضرير والأسير الذي فقد أطرافه وتكفّ عن التأثر والانفعال كما تأثرت أول مرة شاهدته فيها، عندئذ يكون السجان قد انتصر عليك. اعتياد القهر رغم طول السنين أو أن يكف الإنسان عن الفرح لفرح الناس والحزن لحزنهم، معناه أنه ليس فقط فقد قدرته على التضامن والتواصل، بل فقد صلته بالواقع بعدما فقد مشاعره الإنسانية وتمّ ترويضه. وهندسة تبليد المشاعر تجيدها إسرائيل جيداً، والسجن عالم مُصغّر عن العالم. وإسرائيل عندما أغرقت البلد بالدم وملأت السجون بآلاف الأسرى أثناء الانتفاضة الثانية، اعتاد العالم والمشاهدون المشهد، وتبلّدت المشاعر بعد التضخم الذي جرى على عدد الشهداء والجرحى والأسرى.

من الأمور التي حدثت، أنني التقيت خلال هذه العقود الثلاثة جدّ الأسير وأبن الأسير وحفيد الأسير، وأحياناً كانوا في الوقت نفسه داخل الأسر. هذا السيناريو تكرر مرات وفي حالات كثيرة، كأن السجون محطة كُتب على الفلسطيني أن يمرّ بها، وكأنها تعميد أو مرحلة طبيعية من المراحل التعليمية مثل الروضة والمدرسة والجامعة، أو ورثة يتوارثها الأحفاد عن الأجداد.

علينا أن نتعامل مع الأسر على أنه فشل في مسيرة النضال وليس محطة ضرورية، وحاولت معالجة توارث الأسر، إن جاز التعبير، في حكاية «سر الزيت»، إذ اختار بطل القصة خياراً آخر غير خيار الأسرى، وبدأ يفكر بأسلوب علمي وأخلاقي في خيارات جيله بعيداً عن السجن.

■ خلال سنوات قليلة فقط، سَنّ الكنيست عشرات القوانين المتعلقة بالأسرى. هل يمكن أن تتحدث عن أثر تلك القوانين، خاصة التي تستهدف إلغاء كل إنجازات الحركة الأسيرة؟

القوانين الإسرائيلية والإجراءات القمعية ضد الأسرى ليست جديدة. الجديد هو الإطار الأيديولوجي والعقائدي التوراتي الذي اشتدت تأثيراته في مواقف المسؤولين الإسرائيليين، فأصبحنا في السجون نواجهُ العقيدة الدينية؛ إذ إن ما ينطق به الراف (الحاخام) نجده مترجماً لإجراءات نشعر بها في حياتنا. وقد دشن وزير الأمن الداخلي (جلعاد يظل قلبٌ في قفص صدري قادراً على أن يخفق بحب ودهشة لمجرد رؤية نجم في السماء؟ وماذا حين يكون هذا الأسير ممن يعرفون بـ«الدفعة الرابعة» (أسرى الـ48) أو ما قبل اتفاق أوسلو الذين ترفض إسرائيل الإفراج عنهم في أي صفقة؟ أسئلة كثيرة يُجيب عنها الأسير منذ 34 عاماً وليد دقة الذي تتهمه إسرائيل ورفاقه بخطف الجندي الصهيوني موشي تمام وقتله عام 1984. وبما أن الزمن في الأسر يمشي بالتوازي مع زمننا، فإنه يُصادف اليوم أيضاً الحادي عشر من نيسان/أبريل 1988 عندما استُشهد إبراهيم الراعي أو «أبو المنتصر». الأخير يُشبه ظاهرة طبيعية تحدث مرة كل ألف عام، إذ أصبح أنموذجاً للصمود بعد صمته في التحقيق 11 شهراً انتهى باغتياله داخل الأسر. ومنذ ذلك الحين، يُؤرّخُ للصمت على أنه بديهة، وللاعتراف بأنه خيانة وشذوذ. والراعي تتهمه إسرائيل بالعلاقة بعملية دقة ورفاقة الخمسة، وجميعهم من باقة الغربية في الأرض المحتلة عام 1948

> الياس رفاهيّة لا يُمكن أحداً في مثل حالي أن يصل إليها

الكتل البشرية عبر أحدث نظريات الهندسة البشرية. الأصعب من ذلك كله هو ألّا تعرف سبب عذابك وألمك، فالقيّن حتى لو كان على شكل هراوة، أخف وطأة من اللايقين. ولما أعدت تعريف التعذيب، كان لا بد من إعادة تعريف الألم. فالجسد، جسد الأسير، لم يعد موضوع التعذيب يستهدفه أساساً، بل عقله وروحه.

■ نصّ الزمن الموازي (الرسالة) الذي كتبته حُوّل إلى مسرحية مُثلت على خشبة مسرح الميدان. ما أبرز الأشياء التي حدثت في الزمن الموازي الخاص بك؟

الأحداث كثيرة، والزمن الذي أمضيته في السجن أطول من الذي أمضيته خارجه، ومن الصعب عليّ أن أشير إلى حدث بعينه على أنه أهم من غيره. لكنّ هناك دروساً وعبراً تعلمتها من حقائق حياة الأسر اليومية والبسيطة. ففي أحد السجون التي عشت فيها، كان معي أسير ضرير وآخر فقد بصره وساقه ويده، وكان علينا أن نخرجهما إلى الباحة الشمسية كل يوم. في البداية، تزاحم الأسرى على إخراجهم وتعاطف الجميع معهم وكانوا رهن إشارتهم، لكن مع مرور الوقت، قلّ عدد الأسرى المتطوعين لهذه المهمة، بل سمعت تأففاً من البعض وتهرباً من هذا اليوم أيضاً الحادي عشر من نيسان/أبريل 1988 عندما استُشهد إبراهيم الراعي أو «أبو المنتصر». الأخير يُشبه ظاهرة طبيعية تحدث مرة كل ألف عام، إذ أصبح أنموذجاً للصمود بعد صمته في التحقيق 11 شهراً انتهى باغتياله داخل الأسر. ومنذ ذلك الحين، يُؤرّخُ للصمت على أنه بديهة، وللاعتراف بأنه خيانة وشذوذ. والراعي تتهمه إسرائيل بالعلاقة بعملية دقة ورفاقة الخمسة، وجميعهم من باقة الغربية في الأرض المحتلة عام 1948

أردان) موقعاً يتواصل به مع جمهوره اليميني، ويقدم هؤلاء مقترحات وطلبات تفصيلية إليه تتصل بتشديد الخناق علينا. ولما كان السياسيون يسعون لإعادة انتخابهم في المواقع المتقدمة في أحزابهم، فإنهم يستجيبون لطلبات قواعدهم في تشديد الخناق على الأسرى.

إسرائيل اليوم تعيش العربدة وتأخذ بمطلقية النص الديني منتشية على المستويات السياسية والعسكرية كافة، والسجن جزء من هذه الحالة، وهذا يقوّض دولة المؤسسات التي تشكل جزءاً من قوة إسرائيل. أنا لستُ قلقاً من هذه الناحية على الأسرى، فعندما يتدخل وزير ورئيس حكومة في تفاصيل حياة الأسير، فإن هذا يعبّر عن خواء وضعف وتآكل داخلي.

■ كيف تصف واقع الحركة الأسيرة اليوم داخل السجون؟

الحركة الأسيرة امتداد للحركة الوطنية خارج السجون، والحالة الفلسطينية المنقسمة سياسياً ألقت بظلالها الثقيلة على الحركة الأسيرة، والانقسام الذي طال أمده أنتج اقتصاد الانقسام وثقافته، وهناك تخوّف حقيقي من أن تتحول هذه الثقافة إلى هوية. لا أخشى على الحركة الأسيرة من القوانين الإسرائيلية، إنما الخطر الحقيقي الذي يُواجه هنا، ومجمل المشروع الوطني، هو الانقسام. في سياق النضال الوطني المشترك، تتبلور القيم الجامعة التي تشكل البنية التحتية للهوية الوطنية، وعندما تصبح هناك في ظل الانقسام مشاريع وطنية، وليس مشروعاً وطنياً، لا يفرّز هذا النضال قيماً جامعة، بل تتعزز قيم الفصيل، وتتفكك الهوية حتى لو بقينا نأكل جميعاً المقلوبة وندبك الدبكة نفسها. الحركة الأسيرة كانت المعقل الأخير لإنتاج مثل هذه القيم، وللأسف في السنوات الأخيرة لم يعُد نضالها مشتركاً، وهناك تهديد لمركباتها.

■ ربما واحدة من أهم المحطات المفصليّة والتاريخية في قضية فلسطين توقيع اتفاقية أوسلو. كيف تقيّم هذه الاتفاقية، ولماذا أسرى «الـ48» استثنوا من ذلك الحين من الصفقات؟

«أوسلو» جزّأت الشعب الفلسطيني، ثم كان من الطبيعي أن تجزئ الأسرى، فمن يتحدث عن دولة في الضفة وليس وطناً، يتنازل تلقائياً، حتى لو ادعى غير ذلك، عن روايته التاريخية المؤسسة للهوية وللشعب الفلسطيني، وأهم مكوّناتها النكبة ورواية اللجوء.

أسرى الداخل كانوا جزءاً من «منظمة التحرير» وفصائلها. كانت هذه المنظمة ترى نفسها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني بمن فيهم فلسطينيو الـ48، ثم عندما كفّت عن تمثيلهم، لم يعد أسرى الداخل الذين كانوا جزءاً من قضية جزءاً من الحل. هذا أقل ما يقال عنه أنه مؤسف، فكل قائد من القيادات التي عادت إلى فلسطين، وليس فقط من وقّع على الاتفاقية، من دون استثناء، كرّسنا في الأسر لعقود. لا أريد أن أصف ذلك بغير الأخلاقي أو بأوصاف أخرى، بل سأتركه لشعبنا وللتاريخ لكي يحاكم هذه القيادة.

من استفاد من صفقات التبادل التي قبلت استثناءنا، إنما استدخل على عقليته وفهمه السياسي مناخات صنعتها أوسلو، حتى لو ادعى أنه يملك برنامجاً سياسياً مغايراً بعدما دخل مسارها (الاتفاقية) السياسي ترشيحاً وانتخاباً ثم صراعاً على السلطة.

■ الشباب والشابات الذين ينفذون اليوم عمليات فدائية هم الجيل الذي ولد بعد «أوسلو». كيف تصف هؤلاء الذين لم ييأسوا بعد؟

المسألة ليست مسألة يأس أو تفاؤل، وهذه الظاهرة تستحق الدراسة المعمقة والقراءة الجادّة بعيداً عن الانفعال والتوظيف الفصائلي في ظل الانقسام، فهي تؤكد أن شعبنا شعب حي يرفض الذل، حتى لو كانت قواه السياسية منقسمة وفي أسوأ حالاتها، وأن هذا الشعب لديه طاقات واستعداداً للتضحية. يجب أن ننتبه إلى أن عدداً كبيراً من هؤلاء الشبان أعلنوا رفضهم أن ينسبوا إلى أي فصيل. فهم صوتوا بأجسادهم لرفض الحالة السياسية الفلسطينية بقدر رفضهم للاحتلال.

تقرير

نتنياهو رئيساً للحكومة:

الحصانة القانونية مقابل ضمّ الضفة

دلالات عدةٌ حملتها النتائج غير الرسمية للانتخابات الإسرائيلية، والتي يفترض أن تفضي إلى تكليف بنيامين نتنياهو، مجدداً، بتأليف الحكومة. دلالات لعلّ أبرزها أن نتنياهو استطاع تحقيق حصانة شعبية سيستثمرها لاحقاً في مواجهة المسار القضائي الذي يلاحقه. مقابل سعيه إلى تحقيق وعده بابتلاع الضفة الغربية

علي حيدر

بعدما اتضحت نتائج الانتخابات الإسرائيلية، وإن كانت غير رسمية حتى الآن، بات من الواضح أن معسكر اليمين حقّق الأغلبية بحصوله على 65 مقعداً، ما سيمكّنه من تأليف الحكومة المقبلة. كذلك، باتت نتيجة الاستشارات النيابية، التي يفترض أن يجريها رئيس الدولة لاحقاً، معروفة مسبقاً: بنيامين نتنياهو رئيساً للحكومة. ماذا بعد الانتهاء من فرز الأصوات؟ يفترض أن يتم الإعلان عن النتائج الرسمية للانتخابات في خلال مدة أقصاها الـ 17 من الشهر الجاري، على أن تليها مشاورات يجريها رئيس الدولة، رؤوفين ريفلين، مع الكتل النيابية، يعقبها تكليف أحد أعضاء الكنيست تأليف الحكومة الجديدة، ليعلن المُكلّف قبوله المهمة في فترة أقصاها 7 أيام بعد إعلان النتائج.

في هذا الإطار، أعلن ريفلين أن جولة المشاورات ستبدأ الأسبوع المقبل في مقرّ الرئيس الإسرائيلي في مدينة القدس المحتلة، وستُبثُّ مباشرة على الهواء لأول مرة بناءً على طلبه. وبحسب تقارير إعلامية إسرائيلية، يسعى ريفلين إلى البدء بمشاوراته الأحد أو الاثنين المقبلين، ليتم التكليف بحدود الأربعاء. كما يسعى قدر الإمكان إلى استبعاد خيار الحكومة الانتقالية، وإذا لم تتوفر أغلبية لنتنياهو فسيدرس الدعوة إلى تأليف حكومة وحدة وطنية.

على رئيس الحكومة المُكلّف، تأليف الحكومة خلال 28 يوماً. وإذا لم يستطع ذلك، يتمّ تمديد مهمّته 14 يوماً أخرى. وإذا تعثّر أيضاً، يقوم رئيس الدولة بتكرار المشاورات والتكليف، ولكن هذه المرة تصبح المدة القصوى 28 يوماً فقط. إذا لم ينجح المكلّف الجديد هو الآخر، تعاد الانتخابات، في سيناريو لم يتحقق حتى الآن منذ قيام الكيان عام 1948.

في كل الأحوال، شكلت الانتخابات والنتائج التي أفرزتها محطة لافتة في حركة الواقع السياسي الإسرائيلي، وانطوت على رسائل في أكثر من اتجاه، وتحديداً في ما يتعلق بالتحديات الداخلية. الدلالة الأبرز أن نتنياهو نجح في تحويل الانتخابات إلى استفتاء شعبي حول استمرار توليه رئاسة الحكومة، وحقق فيها فوزاً هائلاً، مستنداً في ذلك إلى كتلة «ليكود» كبيرة، ومعها أغلبية واضحة لمعسكر اليمين، تسمح له بتأليف حكومة مع «شركائه الطبيعيين».

في أعقاب تأليف نتنياهو الحكومة المقبلة، يكون قد تولى رئاسة الحكومة الخامسة له منذ عام 2009، وقبل ذلك حكومة (1996 ـ 1999). وبالمقارنة مع الفترة التي تولّاها مؤسس دولة إسرائيل، ديفيد بن غوريون، الذي أمضى في منصبه، على مراحل، 13 سنة و127 يوماً، يحتاج نتنياهو إلى البقاء في منصبه حتى منتصف شهر تموز/يوليو المقبل ليتجاوز هذه المدة. وبهذا، يكون أكثر رئيس حكومة بقي في منصبه في تاريخ إسرائيل.

تؤشر النتائج شبه النهائية التي نال بموجبها حزب «الليكود» 35 مقعداً، في مقابل حزب «أزرق أبيض» الذي نال 35 مقعداً أيضاً، إلى عودة الثنائية الحزبية. وهي الحالة التي هيمنت على الساحة الحزبية خلال الثمانينيات والتسعينيات. لكن ما ينبغي الإشارة إليه، هو أن المقاعد التي نالها الحزبان كان لها سياقها وظروفها الخاصة، وليس من الضروري أن تتكرر هذه الثنائية في أي انتخابات لاحقة. مع ذلك، هي المرة الأولى التي ينال فيها حزبان، منذ انتخابات عام 1996، ما يتجاوز مجموعه أكثر من نصف أعضاء الكنيست. وهذا يسمح لهما، نظرياً، بتأليف حكومة «وحدة وطنية» بدون إشراك أي من الأحزاب الأخرى، لكن نتنياهو أعلن بصراحة أنه عازم على تأليف حكومة يمينية. ويعود هذا إلى أنه نجح في حشد جمهور اليمين للتصويت لحزب «الليكود»، بعدما أثار الرعب في صفوف حزبه من إمكانية عدم تكليفه بتأليف الحكومة.

> تظهر نتيجة الانتخابات أن التاريخ العسكري لم يعُد عاملاً جاذباً بما فيه الكفاية

في المقابل، حشد المعسكر المضاد لمصلحة حزب «أزرق أبيض» على حساب حزبَي «العمل» و«ميرتس» اللذين نالا مجتمعين 10 مقاعد. ويبدو أن تسرّب جزء من جمهور هذين الحزبين باتجاه حزب الجنرالات، يعود إلى اقتناع مفاده بأن التصويت لمصلحتهم يسمح لهم بمنافسة حزب «الليكود» على تأليف الحكومة المقبلة. لكن المشكلة الأساسية الآن، بالنسبة إلى هؤلاء، هي أن معسكر اليمين، الحليف لنتنياهو، نال أكثر من 60 مقعداً، وهو ما يجعل من الصعب على رئيس الدولة تسمية أحد غيره.

في السياق الحزبي أيضاً، تلقى حزب «العمل» الضربة الأقسى في تاريخه، وتنبع خصوصية العدد القليل الذي ناله من كونه الحزب المؤسّس للدولة، وقاد حروبها خلال العقود الثلاثة الأولى، وشكّل أحد قطبَي السياسة الإسرائيلية خلال الثمانينيات والتسعينيات. إلا أن النتائج التي حققها الآن تجعله في صفوف الأحزاب الصغيرة، وعلى خلفيتها صدرت دعوات من داخل الحزب إلى استقالة رئيسه، آفي غباي، فوراً. أيضاً، أدلى الجمهور الإسرائيلي بحكمه في مقابل القضاء، واختار مرة أخرى نتنياهو رئيساً للحكومة، رغم كل تهم الفساد، ووفر له حصانة شعبية وسياسية يستطيع الاستناد إليها لمواجهة أي مسار قضائي ضده خلال الأشهر المقبلة. وأظهر هذا الجمهور بكل صراحة غلبة الانتماء الأيديولوجي لديه على الالتزام بالقوانين. وسيتضح خلال الأيام المقبلة كيف سيستثمر نتنياهو الالتفاف السياسي والشعبي حوله لحمايته من المحاكمة. وبحسب رئيس تحرير صحيفة هآرتس، ألوف بن، «ستكون لحكومة نتنياهو الجديدة غايتان مركزيتان: إزالة لوائح الاتهام التي تهدده، وضمّ مستوطنات الضفة الغربية لإسرائيل، بالتنسيق مع إدارة ترامب. وبالإمكان تلخيص هاتين الغايتين بمعادلة بسيطة، الحصانة مقابل السيادة».

بموازاة السقوط المدوي لمعسكر اليسار في إسرائيل، تميّزت هذه الانتخابات أيضاً بعدم نجاح حزب تراسه ثلاثة رؤساء أركان سابقين، علني رأسهم بني غانتس، وبدعم آخرين في المؤسسة العسكرية، في التغلب على نتنياهو، وهو ما يؤشر إلى حجم الالتفاف الشعبي حول الخيارات السياسية الأكثر تشدداً، كما يظهر أن التاريخ العسكري لم يعُد عاملاً جاذباً بما فيه الكفاية، وأن النظرة الجماهيرية إلى المؤسسة العسكرية وخرّيجيها قد تبدّلت.

أظهر الجمهور الإسرائيلي غلبة الانتماء الأيديولوجي لديه على الالتزام بالقوانين (أ ف ب)